

لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
تُفْةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا × لَكُنَّا هُوَ
اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ×
وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قَلَّتْ مَا شَاءَ
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَنَا أَقَلُّ
مَنْكَ مَالًا وَأَوْلَدًا × فَعَسَى رَبِّي أَنْ
يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا جَسَبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ
صَعِيدًا زَلَقًا × أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا
غَيُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلِبًا ×
وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ
عَلَى مَا تَنَفَّقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ
أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا × وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مُنْتَصِرًا × هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ
الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا»
«الكهف: ٣٢-٤٤».

كما نفهم من تلك الآيات أن صاحب
الجنة لم يكن ناكراً لوجود الله
بل على العكس فهو يتصور أنه
حتى لو عاد إلى ربه فسيجد خيراً
من هذه الجنة لقد عزا كل ما هو
فيه من النعم لما حققه من أعمال
ناجحة قام بها وحده.

ومن الواضح أن هذا يصب
تماماً في منحى الشرك بالله:
محاولة نسب كل ما يخص الله
إلى غيره وفقدان خشية من
الله مع الاعتقاد بأن هذا الشريك
لديه امتياز خاص و «حظوة»
عند الله.

وهذا ما فعله قوم سبا فكانت
عاقبتهم أن غرقت بلادهم
وجنائهم ليفهموا أنهم ليسوا
أصحاب القوة بل أنها نعمة
أسبغت عليهم فحسب أصبح
السبئيون أصحاب أعظم حضارة
قامت على الري بعد بنائهم سد
مأرب بأحدث الوسائل التقنية
لقد سمحت لهم أرضهم الخصبة
التي امتلكوها وسيطرتهم على
الطرق التجارية أن ينعموا
بالرخاء والازدهار الذي طبع
أسلوب حياتهم ومع ذلك
«أعرضوا عن الله» الذي يتوجب
عليهم أن يكونوا ممتنين شاكرين
له ولأنعمه لذلك انهار سددهم
وأهلك «سيل العرم» كل ما بنوه.
عاد اليوم السد السبئي المشهور
مرة أخرى إلى ما كان عليه من
إمكانات الري السابقة.

ويخبرنا القرآن الكريم أن ملكة
سبا وقومها كانوا «يعبدون
الشمس مع الله» قبل أن تتبع
سليمان وتوضح المعلومات التي
تحملها هذه النقوش هذه الحقيقة
كما تشير إلى أنهم كانوا يعبدون
الشمس والقمر في معابدهم
والتي يظهر أحدها في الأعلى.



• مبان قديمة

ويأتى الحيز الزمني الذي
شغلته هذه الكارثة بعد زمن
العهد القديم والعهد الجديد لذلك
لم يرد ذكره إلا في القرآن الكريم.
وتقف آثار مأرب المهجورة والتي
كانت في يوم من الأيام موطناً
للسبئيين كآية من آيات العذاب
تنذر أولئك الذين يكررون
خطيئة القوم لم يكن السبئيون
هم القوم الوحيدون الذين أهلكهم
السد في سورة الكهف يروي
لنا القرآن الكريم قصة صاحب
الجنة امتك هذا الرجل جنتين
خصبتين جميلتين تشبهان جنان
قوم سبا إلا أنه ارتكب نفس
خطيئتهم.. أعرض عن الله لقد
ظن أن هذه النعمة من صنعه هو
وهي له دون عن غيره:

(وَأَصْرَبَ لَهُمْ مِثْلًا لَجَلِينَ
جَعَلْنَا لِأَخْدَهُمَا جَنَّاتٍ مِنْ
أَعْنَابٍ وَخَفْفْنَاهُمَا بِخَلِّ
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
زُرْعًا × كَلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ
آتَتْ أَكْلَهُمَا وَلَمْ تَظَلْمْ
مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا
خَالَهْمَا نَهْرًا × وَكَانَ
لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ
وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ×
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ
تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا × وَمَا
أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ
رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا × قَالَ

إن البلدة بكاملها قد غرقت بعد
انهيار السد بسبب السيل لقد
تحطمت جميع أبنية الري التي
حفرها السبئيون وكذلك الحائط
الذي أنشؤوه بينائهم حواجز بين
الجناب ولم يعد لنظام الري أي
وجود وهكذا تحولت الجنان إلى
أدغال ولم يبق من الثمار شيئاً
سوى ثمار تشبه الكرز وأشجار
قصيرة كثيرة الجذور.

وأقر الكاتب وعالم الآثار المسيحي
وورنر كيلر Werner Keller
صاحب كتاب «الكتاب المقدس
كان صحيحاً» أن سيل العرم قد
حدث كما ورد وصفه في القرآن
الكريم وأنه وقع في تلك المنطقة
وأن هلاك المنطقة بكاملها بسبب
انهياره إنما يبرهن على أن المثال
الذي ورد في القرآن الكريم عن
قوم الجنتين قد وقع فعلاً.

وبعد وقوع كارثة السد بدأت
أراضي المنطقة بالتصحر وفقد
قوم سبا أهم مصادر الدخل لديهم
مع اختفاء أراضيهم الزراعية
وهكذا كانت عاقبة القوم الذين
أعرضوا عن الله وترفعوا عن
شكره وتفرق القوم بعد هذه
الكارثة وبدأ السبئيون يهجرون
أراضيهم مهاجرين إلى شمالي
الجزيرة مكة وسوريا.

التعبير القرآني يخبرنا كيف
وقعت الواقعة فكلمة «عرم»
تعني الحاجز أو السد. ويصِف
تعبير «سبل العرم» السيل الذي
جاء ليدمر هذا الحاجز.

لقد حل المفسمون المسلمون
موضوع الزمان والمكان على
ضوء الألفاظ القرآنية التي وردت
في وصف سيل العرم يقول
المودودي في تفسيره:

«كما استخدم في التعبير سيل
العرم فإن كلمة «عرم» مشتقة
من كلمة «عريمن» المستخدمة
في لهجة سكان جنوب الجزيرة
والتي تعني «السد الحاجز»
وقد عثر على هذه الكلمة في
أثناء الحفريات التي نفذت في
جنوب اليمن باستعمالات كثيرة
تفيد هذا المعنى على سبيل
المثال: استخدمت هذه الكلمة في
الكتابات التي كانت تملئ من قبل
ملك اليمن الحبشي «أبرهة» بعد
تعمير وأصلاح سد مأرب في ٥٤٢
و٥٤٣ م لتعني السد «الحاجز»
مرة أخرى. إذن فإن «سبل العرم»
يعني «كارثة السيل التي حدثت
بعد تحطم سد».

«وَيَدُلُّنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِي أَكْلٍ حَمُطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ
مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ» «سبا: ١٦». أي:

عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَيَدُلُّنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلٍ
حَمُطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرِ
قَلِيلٍ × ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا
كَفَرُوا وَهُمْ لَنْ يُجَازِيَ
إِلَّا الْكَفُورُ» «سبا: ١٥-١٧».

لقد كان السبئيون كما تدل الآية
الكريمة يعيشون في منطقة
مشهورة بجمالها جنان وكروم
وكانت تقع على طرق التجارة
لقد كانت على مستوى متقدم
جدا بالنسبة لغيرها من مدن ذلك
الزمان.

وكانت ظروف العيش في بلدة
كهذه ممتازة ولم يكن للقوم من
جهد يبذلونه سوى «كلوا من
رَزَقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ» كما تقول
الآية إلا أنهم لم يفعلوا ذلك بل
نسبوا ما يملكونه لأنفسهم لقد
ظنوا أنهم أصحاب هذه البلدة
وأنهم هم الذين أوجدوا مافياها
من الرخاء والازدهار اختاروا
الغرور والتكبر على الشكر
والتواضع لله وكما تقول الآية:
«فَأَعْرَضُوا...». لأنهم نسبوا كل
ما أنعم الله به عليهم لأنفسهم
وأصروا أنه من صنعهم خسروا
كل شيء لقد أهلك سيل العرم كل
ما صنعت أيديهم.

يذكر القرآن أن العقاب الإلهي
كان بإرسال «سيل العرم». وهذا

وكانت مأرب العاصمة من أكثر
المناطق ازدهاراً في ذلك الزمن.
وأشار الكاتب الإغريقي بليني
- الذي زار المنطقة وأسهب في
مدحها - إلى وقال أنها أراضي
واسعة وخضراء.

نقوش مكتوبة بلغة أهل سبا
بلغ ارتفاع سد مأرب ١٦ متراً
وعرضه ٦٠ متراً وطوله ٦٢٠
متراً وهذا يعني حسابياً أنه
يمكن أن يروي ٩٦٠٠ هكتاراً
من الأراضي منها ٥٣٠٠ في
السهل الجنوبي والباقي للسهل
الشمالي وكان يشار إلى هذين
السهلين في النقوش السبئية
«مأرب والسهلان» ويشير
التعبير الدقيق في القرآن:
«جَنَّتَانِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» إلى
وجود حدائق وكروم في هذين
الواديين أو السهلين لقد أصبحت
المنطقة أكثر مناطق اليمن غنىً
وإنتاجاً بفضل السد ومياهه
وأثبت الباحثان: الفرنسي ج.
هوفلي والنمساوي غلاسبر أن
سد مأرب قد أوجد منذ زمن
بعيد. وتروي الوثائق المكتوبة
بلغة «حمير» أن هذا السد قد
جعل المنطقة في غاية الخصوبة
والعطاء.

لقد تم إصلاح هذا السد خلال
القرنين الخامس والسادس
للميلاد إلا أن هذه الإصلاحات
لم تمنع السد من الانهيار عام
٥٤٢ للميلاد وانهار السد بسبب
سيل العرم الذي ذكره القرآن
الكريم والذي سبب أضراراً بالغة
لقد هلك كل البساتين والكروم
والحدائق - التي بقي السبئيون
يرعونها لعدة قرون - على بكرة
أبيها وبعد انهيار السد عانى
السبئيون من فترة ركود طويلة
لم تقم لهم قائمة بعدها... وهذه
كانت نهاية القوم التي بدأت مع
انهيار السد.

سيل العرم الذي أتى على سبا
إذا ما تأملنا الآيات القرآنية على
ضوء المعلومات التاريخية التي
أتينا عليها لوجدنا توافقاً كبيراً.
وتثبت المكتشفات الجيولوجية
والأثرية ما جاء في القرآن فكما
ذكر القرآن لقد استحق هؤلاء
القوم - الذين لم يستمعوا لنصح
رسولهم وكذبوا بالحق لما جاءهم
ولم يؤمنوا به - العقاب بسيل
عرم ويصف القرآن الكريم هذا
السيل في سورة سبا:

«لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ
جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كَلِمًا
مِنْ رَبِّكَ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً
وَرَبِّ غَفُورٍ × فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا



• انقاض أبنية للجهة اليسرى



• احد بيوت قري سبا